«تربية الأبناء: مسؤولية وثمار»

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدِ اعْتَنَى الإِسْلاَمُ بِالأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، وَجَعَلَ مِنَ الأُسْرَةِ الْمَدْرَسَةَ الأُولَى، وَاللَّبِنَةَ الأَسَاسِيَّةَ لِتَنْشِئَةِ الأَبْنَاءِ تَنْشِئَةً صَالِحَةً، وَقَدْ أَوْلَى الإِسْلاَمُ أَهَمِّيَّةً كُبْرَى فِي هَذَا الْجَانِبِ الْمُهِمِّ، فَقَالَ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ...» الحديث [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ، حَفِظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَ، حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»

[رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ].

وَلاَ شَكَّ أَنَّ التَّنْشِئَةَ الصَّالِحَةَ لِلأَبْنَاءِ خَيْرٌ عَاجِلٌ فِي الدُّنْيَا، وَآجِلٌ فِي الآخِرَةِ؛ فَتَرْبِيَتُهُمْ عَلَى الْعَقِيدَةِ السَّلِيمَةِ، وَالْبُعْدِ عَنْ كُلِّ مَا يَقْدَحُ فِيهَا مِنَ الأُمُورِ الشِّرْكِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ أَمَانٌ لَهُمْ وَلِمُجْتَمَعَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وَكَذَلِكَ تَرْبِيَتُهُمْ عَلَى الصَّلاَةِ وَالَّتِي هِيَ الرُّكْنُ الثَّانِي مِنْ أَرْكَانِ هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ، وَفِي تَعْوِيدِهِمْ عَلَيْهَا: نُورٌ لَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ، وَتَهْذِيبٌ لِسُلُوكِهِمْ، وَتَأَمَّلُوا الْفَرْقَ الْعَظِيمَ بَيْنَ مَنْ يُحَافِظُ عَلَى الصَّلاَةِ وَبَيْنَ مَنْ هُوَ

مُضَيِّعٌ لَهَا فِي صِفَاتِهِ وَأَخْلاَقِهِ وَسُلُوكِهِ وَتَعَامُلِهِ؛ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وَكَمَا أَنَّ اَلتَّرْبِيَةَ اَلصَّالِحَةَ لِلْأَبْنَاءِ حِمَايَةٌ لَهُمْ مِنَ اَلْوُقُوعِ فِي اَلشَّهَوَاتِ مِنَ اَلشِّرْكِ وَالْبِدَعِ فَهِيَ أَيْضًا حِمَايَةٌ لَهُمْ مِنْ اَلْوُقُوعِ فِي اَلشَّهَوَاتِ مِنْ مُخَدِّرَاتِ وَغَيْرِهَا ؛ هَذَا السِّلَاحُ الْخَبِيثُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى تَفَشِّي جَرَائِمِ الْعُنْفِ؛ مِنِ اغْتِصَابٍ، وَسَرِقَةٍ، وَقَتْلٍ، وَانْعِدَامِ الأَمْنِ بِعُمُومِهِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ.

هَذَا السِّلَاحُ الْخَبِيثُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الاِنْحِطَاطِ الأَخْلاَقِيِّ فِي الْمُجْتَمَعِ، وَخُصُوصًا بَيْنَ أَوْسَاطِ الشَّبَابِ مِنَ الْجِنْسَيْنِ.

هَذَا السِّلَاحُ الْخَبِيثُ الَّذِي تَعَدَّدَتْ أَشْكَالُهُ، وَتَنَوَّعَتْ أَسْمَاؤُهُ، وَشَاعَ خَطَرُهُ، وَكَثُرَ مُتَعَاطُوهُ، وَتَبَيَّنَتْ حُرْمَتُهُ؛ إِذْ هُوَ مُحَرَّمٌ تَحْرِيمًا قَاطِعًا لِشِدَّةِ فَتْكِهِ، وَعِظَمِ ضَرَرِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ» [رواه مسلم].

وَمِنْ ثِمَارِ التَّرْبِيَةِ الصَّالِحَةِ لِلأَبْنَاءِ: غَرْسُ حُبِّ اللهِ وَحُبِّ رَسُولِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَمَ- وَالَّتِي مِنْ آثَارِ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ للهِ، وَصِدْقُ الْمُتَابَعَةِ لِرَسُولِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-، وَفِعْلُ الطَّاعَاتِ، وَالْبُعْدُ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة :٥٤]، وَكَيْفَ لا تُحِبُّ الْقُلُوبُ مَنْ لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلاَّ هُوَ، وَلاَ يَذْهَبُ بِالسَّيِّئَاتِ إِلاَّ هُوَ، وَلاَ يُجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيُقِيلُ الْعَثَرَاتِ، وَيَغْفِرُ الْخَطِيئَاتِ، وَيَسْتُرُ الْعَوْرَاتِ، وَيَكْشِفُ الْكُرُبَاتِ، وَيُغِيثُ اللَّهَفَاتِ سِوَاهُ؟

وَمِنْ ثِمَارِ التَّرْبِيَةِ الصَّالِحَةِ لِلأَبْنَاءِ: تَنْمِيَةُ مُرَاقَبَةِ اللهِ عِنْدَهُمْ؛ حَيْثُ يُصْبِحُ الابْنُ رَقِيبًا عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرًا بِهَا! وَذَلِكَ مِنْ خِلاَلِ تَعْظِيمِ اللهِ وَخَشْيَتِهِ وَالْخَوْفِ مِنْهُ؛ وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى مِنْ تَرْبِيَةِ لُقْمَانَ لابْنِهِ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦]، وَفِي هَذَا لَفْتَةٌ كَرِيمَةٌ لِلآبَاءِ عِنْدَ زَجْرِ الأَبْنَاءِ وَتَخْوِيفِهِمْ: أَنْ يَكُونَ الرَّهَبُ مِنَ اللهِ، وَالرَّغَبُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَالدَّعْوَةُ لِمُرَاقَبَتِهِ وَاسْتِحْضَارِ عِلْمِهِ وَاطِّلاَعِهِ جَلَّ شَأْنُهُ.

وَمِنْ ثِمَارِ التَّرْبِيَةِ الصَّالِحَةِ لِلأَبْنَاءِ: أَنَّهَا نَفْعٌ لَهُمْ وَلِوَالِدِيهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ فَكُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ تُرَبِّي أَبْنَاءَكَ عَلَيْهِ يَكُونُ لَكَ مِثْلُ أَجْرِهِ؛ حَيْثُ إِنَّ الأَجْرَ مُشْتَرَكٌ لَكَ وَلَهُ، لَهُ الأَجْرُ عَلَى فِعْلِهِ، وَلَكَ

الأَجْرُ عَلَى الدَّلاَلَةِ عَلَى هَذَا الْخَيْرِ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُنَا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ دَلَّ علَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» [رواه مسلم].

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ لاَ يَنْقَطِعُ حَتَّى بَعْدَ وَفَاةِ الْوَالِدَيْنِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُنَا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –].

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا وَأَوْلاَدَنَا وَمُجْتَمَعَاتِنَا وَبِلاَدَنَا وَبِلاَدَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الشُّبُهَاتِ والشَّهَوَاتِ ، وَاجْعَلْهُمْ هُدَاةً مُهْتَدِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

كتبه

محمد بن سليمان المهوس

الدمام ١٤٤٢ هـ

